سُورَةُ الرُّومِ

التّعريف العامّ بالسّورة:

سـورة الـرّوم كلُّها مكّيّةٌ

سورةُ الرّوم مكّيّةٌ عندَ جمهور العلماء[1]، لكنْ وردَتْ عندَ التّرمذيّ روايةٌ تُشعرُ بأنّ مطلع السّورةِ الكريمة نزلَ في بدر، فعن أبي سَعيدٍ، قالَ: لَمّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ ظَهَرَتِ الرّومُ عَلَى فارِسَ، فأعْجَبَ ذَلِكَ المُؤْمِنينَ فنَزَلَتْ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ - إلَى قَوْلِهِ - ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ قالَ: "فَفَرِحَ المُؤْمِنونَ بِظُهورِ الرّومِ عَلَى فارِسَ"، وقال التّرمذيّ: "هَذا حَديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ مِنْ هَذا الوَجْهِ"[2]، والحقّ أنّه لم تثبتْ تلك الرّواياتُ التي ذكروها في أسبابِ النّزول[3].

والسّورةُ من أواخرِ ما نزلَ من القرآنِ المكّيّ، وقد اشتدَّ في هذه الظّروف أذى الكفّار وإزعاجُهم للمسلمين، ونَظْمُ الآيات والصّوَر التي تضمّنَتْها أقربُ إلى النّظمِ المكّيّ وصوَرِ العهدِ المكيّ منها إلى النّظم المدنيّ.

ترتيب النزول وترتيب المصحف وعد الآي:

هي السّورةُ الثّلاثونَ في ترتيبِ المُصحَف الشّريف، وهو التّرتيبُ الثّابتُ، والمُعوّلُ عليه عندَ أهلِ النّظر والتّحقيق، وجاءتْ بين سورتَي العنكبوتِ ولُقمان، وهي خَمْسونَ وتسعُ آيات في المدنيِّ الأخير والمكّيّ، وستّونَ آيَةً في عدد الباقينَ[4]، وأمّا ترتيبُها النّزوليّ فهي السّورةُ الرّابعَةُ والثّمانونَ في تَعْدادِ نُزولِ السّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سورَةِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 327، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 1، والسّيوطي، الإتقان: 1/ 39.

(2) التّرمذيّ، سنن التّرمذيّ: باب: ومن سورة الرّوم، حديث رقم: (3192).

(3) الوادعي، الصحيح المسند في أسباب النّزول: ص: 160.

(4) الداني، البيان في عدّ آي القرآن، ص: 205.

الانْشِقاق وقَبْلَ سورَةِ العَنْكَبوتِ[1]، رغم أنّها في ترتيب المُصحف الشّريفِ بعدَ العنكبوت.

أسماءُ السّورة الكريمةِ وسببُ التّسمية:

سورةُ الرّوم لمْ يثبتْ تسميتُها باسمٍ غيرِه في الأثر

لهذه السّورة اسمٌ واحدٌ مُشتهر لم تُسمَّ بغيره هو (الرّوم)، إذ سُمّيت بهذا الاسم؛ لتفرُّدها بذكر (الرّوم) في مطلعها: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾، وهو الاسمُ الذي اشتهرتْ به هذه السّورة وكُتبت في المصاحف، وسُمّيت به في كتب التفسيرِ والحديث.

وسببُ تسميتها بـ(سورة الروم) افتتاحُها بخبرِ غلَبة الرّوم، والإخبارِ عن نصرهم بعدئذٍ في بضعِ سنين، وتلك إحدى مُعجزاتِ القرآن العظيم بالإخبار عن المغيَّبات في المستقبلِ ووقوعِ الشيءِ كما أخبرَ به، ولم تردْ هذه الكلمةُ في القرآن الكريم إلا في افتتاحِ هذه السّورةِ الكريمة.

وأمّا وجهُ ارتباطِ هذا الاسم بمِحور السّورة فيقول البقاعي: "مقصودُها إثباتُ الأمرِ كلّه، فتأتي الوحدانيّةُ والقدرةُ على كلِّ شيء، فيأتي البعثُ ونصرُ أوليائه، وخِذْلانُ أعدائه، وهذا هو المقصودُ بالذات، واسمُ السّورة واضحُ الدّلالة عليه بما كان من السَّبب في نَصْر الرّوم من الوعدِ الصّادق والسرّ المَكتوم"[2].

والحقُّ أنّه لا بدَّ من رابطٍ قويٍّ يربطُ بين اسم السّورة ومِحورها الذي تدورُ عليه، ولا يُكتفى بالتّعليل القائل إنّها سمّيت بسورة كذا لأنّها تحدّثتْ عن كذا، فقد تتحدَّثُ السّورة عن أمرٍ مّا وتنفردُ به ولا تُسمّى به، ويظهر هنا أنَّ ارتباطَ محور سورة الرّوم باسمِها ناشئٌ من كون حديثِها عن بشرى المؤمنين بانتصارِ الرّوم على الفُرس بعدَ بضعِ سنينَ من هزيمتهم أمامَهم، مثَّلَ النَّصرُ فرحةً للمؤمنين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 40 - 41.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 384.

الذين كانوا يرونَ الرّوم أهلَ كتاب، بينما كان الفرسُ على الشّرك، فأحسّوا باستبشارِ قُربِ نُصرةِ دينهم وتمكينِهم على أهل الكفر، ولمّا كان محورُ السّورة الكريمة يدورُ حولَ بيانِ الدّعائم والثّوابت والمقوّمات التي تنهضُ بها الحضارات الإنسانيّة، سواءً أكانت تلك المقوّماتُ والدّعائمُ حسّيّةً مادّيّة، أوْ معنويّة، وبيّنتْ أنّ النّهوضَ الحضاريَّ لا يقومُ إلّا بالصّلاح البشريّ، وأنّ الحضاراتِ لا تقومُ على القوّة المادّيّة فقط، بل لا بدّ من استقامةِ المبادئ والقيمِ الّتي تحفظ وجودَها، لمّا كان محورها كذلك كانت تسميتُها باسم الرّوم أدلَّ شيء على النّهوض الحضاريّ واضمحلالِه؛ بناءً على القيم المادّيّة والمعنويّة التي تحملُها ما يمكنُ أنْ يُطلقَ عليه حضارةً.

❁ بيانُ محور السورة العامِّ والموضوعاتِ التي تلتفُّ حولَه:

السّورةُ ربطتْ بينَ صلاحِ الإنسانيّة وصلاحِ الكون

مقصودُ هذه السّورة عند البقاعيّ هو: إثباتُ الأمرِ كلّه للّه، فتأتي الوحدانيّةُ والقدرةُ على كلِّ شيء، فيأتي البعثُ ونصرُ أوليائه، وخذلانُ أعدائه، وهذا هو المقصودُ بالذات[1].

ويرى الدكتور شحاته أنَّ مقصودَها الكشفُ عن الارتباطاتِ الوثيقة بين أحوالِ النّاس، وأحداثِ الحياة، وماضي البشريّة وحاضرِها ومُستقبلِها، وسننِ الوجود ونواميسِ الكون، فكلُّ نصرٍ وكلُّ هزيمةٍ مرتبطةٌ ومحكومةٌ بقانونٍ ثابتٍ لا يتغيّر[2].

وقد ظهر سابقًا أنّ المحورَ الذي قامت عليه سورة (العنكبوت) هو بيانُ أثرِ الاستقامةِ على دين اللّه تعالى في تحقيقِ الشّهود أوِ الاضمحلال الحضاريّ، من خلال استعراضِ مشاهدَ قصصيّةٍ من دعوات بعضِ الأنبياء الّذين واجهوا أقوامَهم بهذه الدّعوة، فما لقوا منهم سِوى الجُحود والكُفران واستعجالِ العذاب، فأزالَ اللّه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 1.
(2) شحاته، أهداف كلّ سورة ومقاصدها: ص: 291.

حضاراتِهم، ودمّر بنيانَهم، وتوعَّدهم بالعذاب الأليم، ولم يكن محورُ سورة الرّوم بعيدًا عمّا جاء في العنكبوت، بل مؤكّدًا له ومُضيفًا عليه.

وقد قامت سورة الرّوم على ما يأتي من المحاور:

أولًا: بيان الدّعائم والثّوابتِ والمقوّمات التي تنهضُ بها الحضاراتُ الإنسانيّة، سواءً أكانت تلك المقوّماتُ والدّعائمُ حسّيّةً مادّيّةً أم معنويّةً، وبيّنت أنّ النّهوض الحضاريّ لا يقومُ إلّا بالصّلاح البشريّ، وأنّ الحضاراتِ لا تقومُ على القوّة المادّيّة فقط، بل لا بدّ من استقامةِ المبادئ والقيَم التي تحفظُ وجودها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: 30].

ثانيًا: تبيّن السورة سنّة الله في نصرةِ الحقّ على الباطل من خلال تذكيرِ الناس بما حصلَ وما يحصلُ بينَ حضارتيْنِ عظيمتيْن يَعرفونهما جيّدًا، هما الحضارةُ الرّومانيّة والحضارةُ الفارسيّة، وكيف استطاعت الحضارةُ الرّومانيّة أنْ تستعيدَ قوّتها، وتنهضَ من كَبوتها خلال بضعِ سنين وتنتصرَ على الفرس، ثمّ عقّبت السّورة على ذلك: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: 6]، ثمّ ساقت الأدلّةَ الكونيّة والاجتماعيّة على تأكيد أنّ سنّة الله ماضيةٌ في ذلك لا تتغيّر ولا تتبدّل، ومنها: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الروم: 9 - 10].

ثالثًا: بيّنتِ السّورة الكريمة انقسامَ النّاس أمامَ هذه الدّعوةِ إلى مؤمنينَ وكافرين، وبيّنتْ جزاءَ كلّ فريقٍ في أكثرَ من موضع: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: 15 - 16]، ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الروم: 44 - 45].

رابعًا: لفتت السورة انتباهَ الناس في أكثرَ من مرّة إلى ما ينتظرُ الكافرينَ في الآخرة من جزاء: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟

وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: 12 - 14]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم: 55].

خامسًا: ساقَت السورة خلالَ ذلك كلّه الآياتِ الأنفُسيّة والآفاقيّة على قدرةِ اللّه تعالى في هذا الكون، ودَعَتْهم إلى التفكّر فيها أكثرَ من مرّة، وعرَّضتِ السّورةُ أكثر من مرّة بالآلهة المزعومةِ والعقائد الفاسدة، التي يستند إليها أهلُ الكفر، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: 27 - 28]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: 54].

سادسًا: بيّنتِ السّورةُ الكريمة طبيعةَ البشر وتقلّبَ أحوالهم في الشدّة والرّخاء؛ لتربطَ بين صلاحهم وصلاحِ الكون، وذلك في أكثر من موضع: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: 22]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: 30]، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم: 33 - 36].

سابعًا: نصّتِ السّورةُ الكريمةُ على عواملِ الانحطاط الحضاريّ التي تُقوِّض الأممَ وتزيلُ العُمرانَ من فساد اقتصاديّ أو أخلاقيّ أو اجتماعي؛ لتربطَ بين الصّلاح العُمرانيّ والصّلاح الإنسانيّ، فقالت: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: 39]، وقالت: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: 41].

ثامنًا: ربطتِ السّورةُ الكريمة بين النّهوض الحضاريّ والاستقرار الأُسَريّ، فالمجتمعُ عبارةٌ عن أُسَرة كبيرة، يقومُ على تعاون أفراده، ولا بدّ له من مقوّماتٍ مادّيّةٍ ومعنويّةٍ ينهض بها كما الأسرة الصّغيرة أيضًا، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21].

تاسعًا: اقتضى هذا المحورُ أن تُبَيَّنَ لهم أحوالُ المكذّبين من قبلهم: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الروم: 42]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: 47].

عاشرًا: اقتضى الأمر أن يُبيَّنَ لهم انفرادُ الله سبحانه وتعالى بقضيّة الأرزاق، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الروم: 37].

❁ المقاصد الرئيسةُ للسّورة وخصائصها:

بيانُ سنّة الله تعالى في بيان مقوّمات النّهوض الحضاريّ

أولًا: الدلالةُ على إعجازِ القرآن بالإخبارِ عن أمورٍ مستقبلةٍ تحقَّقَ وقوعها، كغَلَبةِ الرّومِ الفُرسَ بعدَ أن غَلَبت الفُرسُ الرّومَ، وطَمْأنةُ المؤمنين وتسكينُ نفوسهم بذلك.

ثانيًا: الحديثُ عن مشاهدِ الكون والحياة، وعجائبِ قدرة الله في آياته الكثيرة في هذا العالم؛ إقامةً للبرهانِ على وجودِ الخالق العظيم، ولفتًا للأنظار إلى آياتِ الله الواحد القهّار.

ثالثًا: الحديثُ عن وقوعِ البعث بعد الموت بأدلّةٍ عقليّة وحسيّة، منها: أنَّ الإعادة بمنطق العقلِ أهوَنُ من البدء، وأنَّ إحياءَ الأرض بعد موتها بالمطرِ دليلٌ على الإحياء بعد الإفناء.

رابعًا: الثناءُ على هذا الدّين وعلى الفضائل التي يدعو إليها، وحثُّ النبي ﷺ والمسلمين على التمسُّك به، وإعطاءِ الحقوق لمستحقّيها، والتنبيهُ على حال المشركينَ ورذائلِهم.

خامسًا: ضربُ الأمثال لبُطلان الشّرك، ووصْفُ المشركينَ بالجهلِ وإهمالِ النَّظر في الحياة الأخرى، وعدمِ الاتّعاظ بهلاكِ الأُمم السّالفة المماثلةِ لهم في الإشراك باللّه، وبيانُ حالِهم عندَ بعثهم، واعتذارِهم عمّا سلفَ من أعمالِهم[1].

الخصائصُ الموضوعيّة لسورةِ الرّوم:

تميزت سورةُ الرّوم بخصائصَ تتناسبُ معَ موضوعاتها

أولًا: تميزتِ السّورةُ الكريمة باشتمالِها على دليلٍ تفرّدتْ فيه من دلائلِ الإعجاز الغيبيّ، بحديثِها عن غُلْبِ الرّوم على يدِ عدوّهم الفرس كما سجّلَ التّاريخ ذلك، ثمّ استعادتِهم قوّتَهم عليهم بعد ذلك بسنينَ قليلةٍ.

ثانيًا: تفرّدتِ السّورة الكريمة بذكرِ بعض الأدلّة الكونيّة والأنفسيّة التي لم تشاركْها فيها غيرُها من السّور، مثلُ حديثها عن سنّة اختلافِ الألسُن والألوان، وسنّة الزّوجيّةِ ومقوّماتها، واختلافِ حال خلقِ الإنسان بين قوّةٍ وضعفٍ وشَيبة، وغير ذلك.

ثالثًا: تفرّدتِ السّورة الكريمةُ بربطها بين الفساد العامِّ والكسب البشريّ صراحةً: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: 41].

رابعًا: ركّزتِ السّورة على أنّ العبرةَ ليست بالأكثريّة في الرّأي العامِّ، وأنّ الحقّ قد يكونُ مع القلّة، وذلك في أكثرَ من موضعٍ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: 6]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم: 8]، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: 30].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 40 - 41.

خامسًا: اختصّتِ السّورة ببيانِ أحوالٍ خاصّةٍ للمشركينَ عندَ قيام السّاعة: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ١٣ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤﴾ [الروم: 12 - 14]، ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥﴾ [الروم: 55]، فهذا التّقلّبُ في أحوالهم مرتبطٌ بتقلّب أحوالِهم واضطرابِهم في الدّنيا.

الخصائصُ الأسلوبيّة لسورةِ الرّوم:

أولًا: شاركتْ هذه السّورةُ (الزّهراويّن والعنكبوت ولقمان والسّجدة) بهذه الحروف الثّلاثة: ﴿الٓمٓ﴾ التي استهلّت بها هذه السّورُ الستّة.

ثانيًا: تفرّدتِ السّورة الكريمةُ بتكرارِ ذكرِ لفظة (الآيات)، حيث جاءتْ بصيغة الإفراد مرّة واحدةً، وأمّا بالجمع فقد وردت نحو أربعَ عشرة مرّة[1]، وجاء منها التّركيب: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ سبعَ مرّات[2] من أصل أحدَ عشرَ موضعًا وردتْ في القرآنِ كلّه[3]، وذلك لأنّها اعتمدتْ في عرض محورِها على بيان آثارِ قدرةِ الله في الأنفس والآفاق.

ثالثًا: كثُرَ في السّورة مُحسّنٌ بديعيٌّ رفيع وهو (أسلوب الطّباق) من خلال المقابلاتِ بين: ﴿غُلِبَتِ﴾ [الروم: 2] و﴿سَيَغۡلِبُونَ ٣﴾ [الروم: 3]، و﴿مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: 4]، ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [الروم: 6]، و﴿يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: 7]، ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ [الروم: 7] و﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الروم: 7]، و﴿ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الروم: 25]، و﴿يَبۡدَؤُاْ﴾ [الروم: 11] ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: 11]، و﴿ءَامَنُواْ﴾ [الروم: 15] و﴿كَفَرُواْ﴾ [الروم: 16]، و﴿تُمۡسُونَ﴾ [الروم: 17] و﴿تُصۡبِحُونَ ١٧﴾ [الروم: 17]، و﴿ٱلۡحَيَّ﴾ [الروم: 19] و﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الروم: 19]، و﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [الروم: 24]، و﴿ضُرّٞ﴾ [الروم: 33] و﴿رَحۡمَةً﴾ [الروم: 33]، و﴿ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: 41]، و﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨﴾ [الروم: 48] و﴿لَمُبۡلِسِينَ ٤٩﴾ [الروم: 49]، و﴿ضَعۡفٖ﴾ [الروم: 54] و﴿قُوَّةٗ﴾ [الروم: 54]، وغيرها.

رابعًا: تميّزتِ السّورةُ الكريمة بأنّ أغلبَ فواصلِها قد انتهتْ بجمع المذكّر السّالم أوْ بالفعل المضارعِ المرفوعِ بثبوتِ النّون، وشابهتْ بهذا الأسلوب جاراتِها سوَرَ (الشّعراء والقصص والعنكبوت)، لذا فأكثرُ فواصلِ (سورة الروم) تنتهي بحرف النّون، والشّواهدُ على ذلك كثيرةٌ بلغت نحو أربع وخمسين فاصلةً من أصل ستّين فاصلةً حوتْها السّورة.

(1) الآيات: 10، 16، 20، 21، 22 (مرتين)، 23 (مرتين)، 24، 25، 28، 37، 46، 53.

(2) الآيات: 20، 21، 22، 23، 24، 25، 46.

(3) بقيّة المواضع الأربعة: فصّلت: 37، 39، الشورى: 29، 32.

خامسًا: تميّزتِ السّورةُ الكريمة في أسلوبها بذكرِ بعضِ الأبنية والمشتقّات الصّرفيّة التي لم تردْ في غيرها من السّور، فمِن الأفعال: ﴿يُقْسِمُ﴾ [الروم: 55]، و﴿يَنصُرُ﴾، و﴿وَأَثَارُواْ﴾ [الروم: 9]، و﴿يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الروم: 15]، و﴿تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: 17]، و﴿يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الروم: 43]، و﴿تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: 18]، و﴿تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: 20] وغيرها.

ومن الأسماء: ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: 22]، و﴿مَنَامُكُم﴾ [الروم: 23]، و﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: 46]، و﴿لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الروم: 49]، و﴿وَشَيْبَةً﴾ [الروم: 54]، و﴿ضَعْفٍ﴾ [الروم: 54]، و﴿ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: 39]، و﴿رَوْضَةٍ﴾ [الروم: 15]، وغيرها.

ولا شكّ أنّ لهذه الأبنيةِ والاشتقاقات ارتباطٌ قويّ بمحور السّورة ومقصودِها العامّ.

سادسًا: حظيت السّورة الكريمة بلفظتيْنِ تفرّدتْ بهما عن غيرها من السّور من جهة الجذر والمادّة؛ وهما لفظة (الرّوم) التي سُمّيت السّورة باسمِها، ووجهُ ذلك سبقَ تقريره، وكذلك لفظة ﴿تُمْسُونَ﴾ في قوله سبحانه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: 17]، وهي مرتبطةٌ بمنهج السّورة في عَرْض الأدلّة الأنفسيّة والآفاقيّة على مقصودِها.

بيانُ المناسبةِ بينَ السّورةِ وسابقتِها ولاحقتِها:

مناسبة سورة الروم لسورة العنكبوت قبلها:

جاءتْ هذه السّورةُ في التّرتيبِ المصحفيّ بعدَ سورةِ العنكبوت، وقد تقدّم هناك بعضُ وجوهِ الصّلات بينهما، ومنها:

الأوّل: أنَّ سورة العنكبوت بُدئت بالجهاد وخُتمت به: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وبُدئت سورةُ الرّوم بوعدِ المؤمنين بالغلبة والنَّصر، وهم يجاهدونَ في سبيل الله تعالى.

الثاني: أنَّ الاستدلالَ في سورة الرّوم على أصولِ الاعتقاد، وأهمُّها التوحيدُ الذي جاءَ مفصّلًا للمجمَل في سورة العنكبوت، مثلُ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ [العنكبوت: 19] ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20].

الثالث: ترتّبَ على التفرقة بينَ المشركين وأهلِ الكتاب في العنكبوت أنّ أبغضَ المشركونَ أهلَ الكتاب، وتركوا مراجعتَهم في الأمور، وكانوا من قبل يُراجعونهم في الأمور، وسببُ

البغضاء أنَّ المشركين في جدالهم نُسبوا إلى عدم العقل: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: 63] وطُلب مجادلةُ أهل الكتاب بالحسنى: ﴿*وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46] وكان أهل الكتاب يوافقون النّبيَّ في الإله، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ [العنكبوت: 46].

فلمّا غُلِبَ أهلُ الكتاب حينَ قاتلَهم الفرسُ المجوس، فرِح المشركون بذلك، فأنزل الله تعالى أوائلَ سورة الروم لبيانِ أنَّ الغلبةَ لا تدلُّ على الحقّ، وإنّما قد يريدُ الله تعالى مزيدَ ثوابٍ في المُحِبّ، فيبتليه ويُسلّط عليه الأعادي، وقد يختارُ للمعادي تعجيلَ العذاب الأدنى، دونَ العذابِ الأكبر يومَ القيامة.

مناسبة السورة لسورة لقمان بعدها:

أولًا: قال تعالى في آخرِ سورةِ الرّوم: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: 58] إشارةً إلى كونِ القرآن معجزةً، وقال في مطلَع سورة لقمان: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان: 2 - 3].

ثانيًا: كذلك قال سبحانَه في آخر الرّوم: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ [الروم: 58] إشارةً إلى أنَّ المشركينَ يكفرونَ بالآيات، وقال في لقمان: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ [لقمان: 7].

ثالثًا: وصفَ الله تعالى قدرتَه على بدءِ الخلق والبعث في كلتا السّورتين، فقال في الرّوم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27] وقال في لقمان: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28].

رابعًا: أثبتَ الله تعالى في كلتا السّورتين إيمانَ المؤمنين بالبعث، فقال في الرّوم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: 56] وهذا عينُ إيقانِهم بالآخرة المذكور في مطلَع لقمان: ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان: 4].

خامسًا: حكى الله تعالى في السّورتين ما عليه حالُ المشركينَ من القلق والاضطراب، إذ يضَّرَّعون إلى الله في وقت الشدَّة، ويكفرونَ به وقتَ الرَّخاء، فقال في الرّوم: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾. [الروم: 33] وقال في لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: 32].

سادسًا: قابلَ تعالى بين السّورتينِ، فذكر في سورة الروم مدى اعتزازِ المشركينَ بأموالِهم ورفضِهم إشراكَ غيرهم فيها، وذكرَ في لقمان قصَّة لقمان الحكيم العبدِ الصّالح الذي أوصى ابنَه بالتواضع وتركِ التكبُّر، كما ذكرَ في الأولى مُحاربةَ الروم والفرس في معركتينِ عظيمتينِ، وذكر في السّورة الثانية في قصَّة لقمانَ الأمرَ بالصَّبر والمُسالمة وتركِ المُحاربة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»